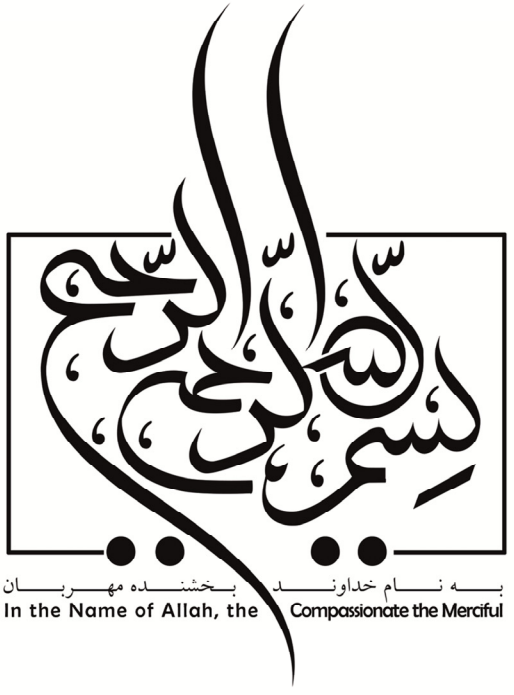
بسم الله الرحمن الرحیم
به نام خداوند بخشنده مهربان
In the Name of Allah, the Compassionate the Merciful

اين كتاب با كاغذ حمايتى منتشر شده است BP1655

كلية الشهيد الصدر رحمه الله العلميّة، هرمنيوطيقا التأويل في الفكر الأخلاقيّ

تأْلِيف: سجّاد الحسّاني

الطبعة الأولى: ١٤٤٦ق / ١٤٠٤ش

الناشر: مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر

المطبعة: دار المصطفى صلى الله عليه وآله للطباعة الرقية (الديجيتال) عدد الطبع: ٥٠٠ السعر:

مراكز التوزيع

* إيران، قم، مفترق الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، زقاق ١٨

هاتف: ٣٧٨٣٦١٣٤ ٢٥ ٩٨+ / ٣٧٨٣٩٣٠٩ ٢٥ ٩٨+

* إيران، قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة هاتف: ٣٢١٣٣١٠٦ ٢٥ ٩٨+

pub_almustafa pub-almustafa.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل تنضيد الحروف والمقابلة والطباعة والنشر حتى مراحله الأخيرة

* مدير مركز النشر: مصطفى نوبخت * مدير الإنتاج: جعفر قاسمي ابهري

* مشرف الفني: السيّد محمّدرضا جعفري * مشرف الطباعة: أيّوب جمالي

حقوق الطبع محفوظة للناشر

كلية الشهيد الصدر رحمة الله عليه العلميّة

هرمنيوطيقا التأويل في الفكر الأخلاقيّ

سجّاد الحسّاني

كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة بقيادة الإمام الخميني‌ﷺ، انبثقت ثورة علمية وثقافية كبرى، وتصاعدت حركة أسلمة العلوم، وتركيز القيم الدينية والروحية والإنسانية في ظلّ المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحادي، وحتى التكفيري المتطرّف، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الكبرى التي هيّأت للعالم فرصًا فريدةً للاطّلاع الواسع بما يحيط به.

ومن هنا دعت الحاجة إلى وضع مناهج للبحث والتحقيق، واستخلاص النتائج الصحيحة في كلّ علمٍ من علوم الشريعة: في التوحيد، والفقه، والأُصول، والفلسفة، والكلام، والحديث، والرجال، والتاريخ، والأخلاق والنفس، والاجتماع، وغيرها؛ لتوقّف سعادة الإنسان عليها في الدنيا والآخرة؛ ولتحقيق الغرض العبادي الذي خُلق الإنسان من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

فقامت في الحوزة العلمية حركة فكرية كبرى بتوجيه من قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئيﷺ وجهود الفقهاء والعلماء والمفكّرين، والعمل الجاد وبذل غاية الوسع، من أجْل بناء صرح علمي ديني رصين، وصياغة مناهج جديدة تُعنى بعلوم الشريعة، وعموم حقول المعرفة الإسلامية والإنسانية.

وأخذت جامعة المصطفىﷺ العالمية على عاتقها، المساهمة الفعّالة في صياغة كثير من المناهج الدراسية، التي تنسجم مع تطوّر الحركة العلمية والثقافية الحديثة.

فأسست «مركز المصطفىﷺ العالمي للترجمة والنشر»، لينهض بنشر هذه الآثار العلمية وتقديمها لطلاب العلم وروّاد المعرفة.

مركز المصطفىﷺ العالمي
للترجمة والنشر

الفهرس

توطئةٌ ـــــ ٩

المقدّمة ـــــ ١٣

موضوع البحث ـــــ ١٣

إشكاليّة البحث ـــــ ١٥

غاية البحث ـــــ ١٦

السؤال المحوريّ للبحث ـــــ ١٧

خريطة البحث ـــــ ١٨

الفصل الأوّل: نظرة عامّة إلى تاريخ الهرمنيوطيقا ـــــ ٢١

تمهيدٌ ـــــ ٢١

المبحث الأوّل: المسألة الهرمنيوطيقيّة ـــــ ٢٢

الأصول الهرمنيوطيقيّة ـــــ ٣٨

فوضويّة الفهم والإفهام في الهرمنيوطيقا ـــــ ٣٩

تأسيس التأويل المنضبط ـــــ ٤٠

المبحث الثاني: هرمنيوطيقا التأويل عند الشعوب البدائيّة ـــــ ٤٢

المبحث الثالث: هرمنيوطيقا التأويل في الأديان السماويّة ـــــ ٥٠

الديانة اليهوديّة ـــــ ٥٠

الديانة المسيحيّة ـــــ ٥٣

الديانة الإسلاميّة ٦٠
المتحصّل من كلّ ذلك: ٧١

الفصل الثاني: التطوّر الأفقيّ والعموديّ للفكر الأخلاقيّ (نظرةٌ عامّة إلى تاريخ الفكر الأخلاقيّ) ـ ٧٣
تمهيدٌ ٧٣
المبحث الأوّل: تطوّر الشكل الأخلاقيّ ٧٤
المبحث الثاني: فراغ المضمون الأخلاقيّ وقلق الفكر الغربيّ ٨٢
كانط والدين ٨٦
جون ستيوارت ميل ٨٨
الصراع بين القيم في الفكر اليونانيّ ٩٢
علم الصلاح ٩٨

الفصل الثالث: التداخل التأويليّ في الشكل الأخلاقيّ ١٠١
تمهيدٌ ١٠١
المبحث الأوّل: لزوم الغاية الأخلاقيّة في مبادئ الشريعة الإسلاميّة ١٠٤
روح الشريعة الإسلاميّة هي الجذوة الأخلاقيّة ١١٢
المبحث الثاني: العلاقة بين الأخلاق والتشريع في الفقه الإسلاميّ ١١٤
التداخل مع الشكل الأخلاقيّ ١١٩
المتحصّل من ذلك: ١٣٠
وحدة الملاك في الحكم الفقهيّ والأخلاقيّ ١٣١
المبحث الثالث: العلوم المعياريّة في علم الأخلاق ١٣٢
الاعتبار الأخلاقيّ في العلم ١٣٦

الفصل الرّابع: هرمنيوطيقا الفكر الأخلاقيّ ١٤١
تمهيدٌ ١٤١
المبحث الأوّل: الهرمنيوطيقا التأويليّة في جوهر الفلسفة والأخلاق ١٤٢
الأخلاق من القراءة والتأويل إلى إنشاء نظامٍ معرفيٍّ ١٤٧
المبحث الثاني: هرمنيوطيقا التأويل من البيان إلى البرهان ١٤٩
هرمنيوطيقا التأويل في الحقل الأخلاقيّ ١٥٤

تقنين الرأي التأويليّ في الاستنباط الأخلاقيّ ١٥٩
المبحث الثالث: هرمنيوطيقا التأويل في الفلسفة الأخلاقيّة والدينيّة ١٦٣
الأخلاق في فلسفة الأخلاق ١٧٥
أخلاق الفضيلة (الإيتيقا) ١٧٨
الانتقال من هرمنيوطيقا التأويل إلى الفلسفة الأخلاقيّة ١٨٣
دستور الأخلاق في القرآن ١٨٧
المتحصّل من كلّ ذلك: ١٨٩
المبحث الرّابع: هرمنيوطيقا التأويل في الفكر الاستشراقيّ ١٩٨
عبد الكريم سروش والمنهج التأويليّ للتعدّديّة الدينيّة ٢٠٥
المعرفة الدينيّة ونظريّة (القبض والبسط) ٢٠٦
هرمنيوطيقيّة التجربة الدينيّة (أطروحة الصّراطات المستقيمة) ٢٠٧
المهمّ في أطروحة (الصّراطات المستقيمة) أمران: ٢١٠
عالم المعنى الأخلاقيّ ٢١١
الخاتمة ٢١٩
النتائج العامّة ٢١٩
النتائج الخاصّة ٢٢٢
مصادر البحث ٢٢٩

توطئةٌ

يستمد هذا البحث حداثته وأصالته وقيمته العلميّة من أنّه يتعمّق في مشكلة التأويل وعلاقتها المباشرة بالأخلاق الدينيّة السائدة، ويوضّح المناقشات والخلافات التي ظهرت على هامش هذه المشكلة لتوضيح الصورة الحقيقيّة، والموقف في السياق التاريخيّ في إطار هذه القضية.

نحاول في هذا البحث إيجاد محددات معرفية ومنهجيّة من خلال بنيتها التأويليّة التي تدور حول الإثبات المثمر لأحكام النصوص، مرجعنا في ذلك هو القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وأساليب استثمار الخطاب التي تدور حول الآليّات اللغويّة، والآليّات الدلاليّة الهرمنيوطيقيّة، وبيّنا أنّ أدوات النظام الأخلاقيّ ظلّت مرتبطة في إطار المنظومة الفقهيّة الشاملة.

وإن كانت آليّات التأويل الهرمنيوطيقي التي تقوم على جزءٍ منها علم الأخلاق الغربي، ما هي إلّا جهد إنسانيٌّ يستلهم ويثبت دلالات النصّ الغنية وفق المنظومة المعرفيّة المتكوّنة، أو إن كانت علوم البلاغة والمنطق اليونانيّ، فإنّ الأمر اليوم يتعلّق بتجديد هذه الآليّات وفق الإمكانات الهائلة التي توفّرها العلوم الإنسانيّة، مع الأخذ بالاعتبار المبدأ المعرفيّ الراسخ الذي يقول: إنّ نقل المفهوم الأصلي من سياقه الأصلي يتطلّب إعادة بنائه وتفعيل

شروطه لتشغيله وتفعيله، وقد حذّر المفكر الباكستانيّ الكبير محمّد إقبال إلى أنّ أثمن ما يميّز الدين الإسلاميّ هو حركيّته وجوديًّا ونظريًّا، وإن كان اتّجاه الفقهاء هو إقامة سلطة الحكم من خارج سياقه التأويليّ الضيّق[١]، ولا شكّ في أنّ الجهد الابتكاريّ المطلوب اليوم يتمثّل في فهم النصّ وفق هذا المعنى، أيّ إعادة بناء المنظومة الأخلاقيّة وفق اتجاهاتها التشريعيّة، ومن خلال الاستثمار في أدوات وآليّات الدين، والمقاربات التأويليّة الجديدة.

خلاصة القول: إنّ غاية الشريعة هي الاستقامة، وأنّ هذه الغاية تبقى بلا قيمة إذا لم تصبح وسيلة للممارسة الإنسانيّة؛ وهذا ما يفسّر الإصرار من خلال مباحث هذه الدراسة على توضيح طريقة التوفيق بين الأخلاق المنصوص عليها كقيمة، وبين عمل الإنسان في صورته الفرديّة والمجتمعيّة. لقد كان التركيز على ضرورة إصلاح قواعد التأويل من أجل تطبيقها على علم الأخلاق، ولتجمع الأخلاق وظائفها في التطبيق العمليّ على الواقع الإنسانيّ؛ ولذلك قمنا بتحديد الأدوات التي تجعل الأخلاق الإسلاميّة حيّة، ولا تكتمل حياتها إلّا إذا نزلت وفق مقتضيات حياة الإنسان ككل، وهنا أظهرنا الإمكانات الهائلة للشّريعة الإسلاميّة لإصلاح الواقع، وتمّ الكشف عن أهدافها العامّة في التجسيد الجزئي، أيضًا قدّمنا وسائل تطبيق التأويلات التي تتميّز بثباتها واكتمالها على بعض الجزيئات المشخّصة بعناية أشبه برعاية الطبيب المؤهل الذي يشخّص الداء ويحدّد العلاج، ولم نسلك هذا المنهج إلّا عن طريق الاستنباط والتأويل، وهو أسلوب يتوافق مع التطبيق العمليّ للشّريعة، حتى تتحوّل تلك النّصوص والتأويلات إلى منهجٍ حيٍّ للحياة الأخلاقيّة تمارس في الواقع. تناول البحث المشكلة الأساسيّة العالقة

١. انظر: إقبال، محمد، تجديد الفكر الديني، ترجمة عباس محمود: ١٧٣ ـ ٢١٣.

الـتي تـدور حـول مسـألة التأويـل، وانقسـام النّـاس إلى طبقـات اجتماعيّـة، ومسألة تفضيل الفلسفة على الدين، وترتبط كلّ هذه الأسئلة ارتباطًا مباشرًا بـالأخلاق الدينيّـة، وتنشـأ في الوقـت نفسـه مـن مسـألة التأويـل، وخلـص البحـث إلى نـفي التهمـة الموجّهـة إلى هـذا الموضـوع، بالإضـافة إلى الشـرح التفصيليّ لمسألة التأويل في سياقها التاريخيّ وعلاقتها بالأخلاق الدينيّة.

المقدّمة

موضوع البحث

لما كان التأويل هو الفرضيّة التي نقلت البحث من التصوّر البسيط إلى إطار التحقّق، فإنّ التوجّه الإشكاليّ لهذا التصوّر اعتمد على معطى الكمال، ممّا أدّى إلى ضرورة مواجهة الروافد والتوجّهات التي أدّت إلى ضرورة تلاقح تاريخ الفكر الأخلاقيّ من اليونان إلى الفكر المعاصر.

إنّ الأخلاق الدينيّة في ضوء مسألة التأويل تستمد أهمّيّتها كواقع اجتماعيٍّ من العقيدة الإسلاميّة التي تهدف قبل كلّ شيء إلى خلق مجتمع أخلاقيٍّ، فلا شكّ في أنّ مدرسة المعارف الإسلاميّة قدّمت مقاربة جديدة للرؤية الأخلاقيّة تقوم على إدراك دقيق لواقع الأمة وحاجاتها إلى التجديد والاجتهاد، إلّا أنّ النموذج الهرمنيوطيقي الذي يتمسّك به كجزءٍ من طموح أسلمة العلوم الإنسانيّة يطرح مشكلة معرفية مزدوجة مرتبطة بعمليّة نقل المفاهيم وإعادة استخدامها خارج سياقاتها الدلاليّة، تتوزّع السيطرة عليها بين المؤسّسة التقليديّة والحركات الإحيائيّة[1]؛ ففي فجر أفق هذا القرن لم تكن

١. الحركات الإحيائية تطلق على حركات الإسلام السياسي، وهي التسمية المتبعة في الدراسات السياسية الرائجة.

شهادة شاهده تختلف عن شهادة شاهد القرن الماضي، فإنّ السؤال الذي فسّره شهود القرن الماضي على أنّه فكر ناشئ لصالح التغيير يحدّد المطلب نفسه، ويديم الحقيقة أنّ هذه الأزمة يجب أن تكون مرادفة لغياب الأمة عن التاريخ، إنّه غياب تذكّر التاريخ والتصرّف وفق تلك الذّاكرة.

أودّ أن أشير إلى أنّ (الفكر) يستخدم هنا دون أيّ معنى مثاليّ أو ثنائي، ونحن لا نتعامل هنا مع العقل البشريّ الفردي، بل مع مراحل تطوّر العقل البشريّ الجماعيّ ككل عبر الزمان والمكان، من مرحلة الخرافة إلى مرحلة العلميّة، ونرى أنّ الفكر الإنسانيّ هو حدث اجتماعيٌّ وبيولوجيٌّ في الوقت نفسه، فهو ليس مستقلًّا ولا كاملًا؛ إذ إنّ الفلسفة القديمة هي التي تحدّثت عن الإنسان بلغة الفرد، وقسّمت الإنسان جسدًا ونفسًا، أو جسدًا وروحًا، باعتبار الروح يولد كاملًا ومستقلًّا عن الجسد والمجتمع والبيئة، وبالتالي يؤدّي إلى نتائجٍ مطلقة، وفي كثير من الأحيان لا تفسّر العلوم والفنون والاختراعات التي يصنعها الإنسان على أنّها نتيجة عمل ولغة وتراكم الخبرات، بل كهبة قادمة من قوى خارجة عن العقل البشريّ والمجتمع والبيئة.

إنّ فكرة العقل الفاعل عند أرسطو وبعض الفلاسفة، وفكرة المعرفة عند أفلاطون، هي مظهر من مظاهر هذه الثنائيّة، وهذا الاستقلال في تصوره للعقل، هذه الأفكار باقية عند القائلين بفطرة العقل البشريّ أو المبادئ العقلانيّة؛ على الرغم من كلّ تلك الآراء نرى أنّ العقل البشريّ متطور وفعّال، إنّه نتيجة عمل الإنسان والمجتمع الإنسانيّ، وسلسلة طويلة مرّت بها الكائنات العضويّة وآخرها الإنسان، كما نرى أنّ العقل نفسه نسبي في قراراته، تطوّر وتكامل مع مرور الوقت، ليس على أساسٍ فردي، بل على أساسٍ جماعي.

إشكاليّة البحث

من صعوبات هذا البحث هو أساسه المعرفيّ وبناؤه المنهجيّ؛ إذ إنّ حداثة البحث وكذلك القراءة الأخلاقيّة للمادّة التأويليّة، أدّت إلى جهدٍ عقلي كبير، وحالة تشابك مع مرجعيّاتٍ وعلوم أخرى. إنّ العلاقة بين الذات والتاريخ هي الفرضيّة التي يقوم عليها هذا العمل، والتي تسعى إلى ضبط العلاقة بين سؤال الأخلاق في الثقافة والتاريخ الإسلاميّ من جهةٍ، وما اختبره الإنسان من جهةٍ أخرى، وهي فرضية تطمح إلى تنظيم المشكلة الأخلاقيّة ضمن ثقافة طرحت فيها مسألة الأخلاق، ولكن بسبب جدليّة الفاعل الإنسانيّ والزمن، وهناك فرقًا بين الطموح وواقع الحال الذي يحدّد المسافة بينهما، الفرق بين التاريخ واللّا تاريخ عند مواجهته للنصّ الذي يحكي قصّة الفكر الأخلاقيّ الإسلاميّ، يشعر قارئ النصّ بتصوّر الآخر له، ولكن وعلى الرّغم من ذلك لم يصبح الفكر الأخلاقيّ الإسلاميّ غريبًا فقد فائدته ماضيًا وحاضرًا، بسبب إهمال الدرس الأخلاقيّ في الفكر المعاصر، فما زال التراث الأخلاقيّ الإسلاميّ صامدًا على صخرة البقاء؛ ولأنّ هذا البحث يقوم على إشكاليّة وجّهت عمله المعرفيّ نحو تأصيل تأويليّة الأخلاق في الفكر الإسلاميّ من خلال قراءة المنهج التأويليّ، فقد كان ذلك من متطلّبات جذور مقاربة النصّ الأخلاقيّ الإسلاميّ والنصّ الأخلاقيّ الغربي واليونانيّ؛ إذ كان شرط التجذير يتصوّر أنّه لا بدّ من حلّ المشكلة لتعميق مثل هذه الأمور في النّصوص، وربط العلاقات بينها وتفكيك مرجعيّاتها حتى يجد التشابك بين الأخلاق مشروعيّته؛ هنا كانت مصادر الفلسفة الأخلاقيّة مفيدة لهذا البحث، فإنّ المسألة الأخلاقيّة في الفكر الإسلاميّ هي مسألة تقع في الإدراك اللّا تاريخيّ، وهو الإدراك الذي يفسّر عمليّة فكرٍ ما من خلال إدخاله في فكرٍ آخر وبالتالي تفسيره.

غاية البحث

هو استعراض الفكر الأخلاقيّ برؤيةٍ هرمنيوطيقيّة؛ بغية تقديم قراءة عصرية للتراث الأخلاقيّ، فالطموح هو فتح أبواب الفكر الأخلاقيّ الإسلاميّ المعاصر، وتقييم هذا الفكر من خلال إعادة تشكيله وتأسيسه مع مراعاة المنطق التاريخيّ.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز حضور الممارسة الإسلاميّة الأخلاقيّة في عصر العولمة، وهو الوقت المناسب لهذه الممارسة لتهاجم وتفكّك التفسيرات والتأويلات الخاطئة لها. لقد اتّسم عصر العولمة بتكاثر مثل هذه التفسيرات والتأويلات، والمطالبة التي يدرسها هذا البحث ستحدّد محورها العلميّ في مجالين أساسيّين:

١. يتمثّل في سؤالٍ مركزي: وهو الفهم الجاد للفكر الأخلاقيّ واستعادته بما يحقّق تاريخيّته؛ لأنّ كلّ التقارير الغربيّة عن هذا الفكر تشير إلى أنّ ساحة الفكر تخلو من إجابةٍ لسؤال الأخلاق، وهو السؤال الذي ترجع إجابته إلى العلوم الإنسانيّة، وأنّ المطالبة بالجذور إذن هي جزء من منطقٍ عكسي يطمح إلى وضع مسألة الأخلاق في الفكر الإسلاميّ في إطارها القديم الخاص من أجل إكساب الفكر المعاصر خصوبة قادرة على تغذية الدراسات الأخلاقيّة المعاصرة التي تتميّز بزمانيتها الخاصّة.

٢. صعوبة مقاربة العقل للنصّ: تكمن في السعي إلى تقديم تأويلات جديدة تعزّز الأخلاق في سياق العصر الحالي، فالتفسير والتأويل السطحي ينزلق عن التراتبيّة الدلاليّة، ويبدو أنّ هذه المنهجيّة عبارة عن مجموعةٍ من الإجراءات المنطقيّة التي تمتزج بعضها مع بعض وتخدم الإشكاليّة الأصليّة لهذا البحث.

إذن تهدف هذه الدراسة الفكريّة إلى إرساء مرجعيّة وقواعد أساسية

للفكر المعاصر الذي يتصل مباشرة بالمجال التداوليّ في اللغة والأخلاق والعقيدة والمعرفة؛ وللقيام بمثل هذا المشروع كرّسنا هذا العمل العلميّ لتقييم أدوات هذا الفكر، ولمعرفة وجود التطابق بين هذه الأدوات والمجال التداوليّ المخصص لها، ولا شكّ في أنّ تطبيق واختيار هذه الأدوات سيؤدّي إلى انقسامٍ في مجال الممارسة النظريّة، ممّا قد يمهّد لفشل تأسيس الفكر المعاصر، وبالإضافة إلى ما سبق فإنّ التراث الإسلاميّ (روح لا حياة لفكر دوّنها)[١].

السؤال المحوريّ للبحث

يتميّز هذا البحث بوجود سؤال جوهري يضفي مشروعيّة التأكيد الذي يرتكز عليه هذا البحث: ألم ينتج المسلمون خلال تفاعلهم المجتمعيّ فكرًا أخلاقيًّا يحدّد لهم أبعاد الثابت والمتغيّر كما فعل اليونانيّ؟

أليس من الممكن فتح الأبواب أمام مجالات المعرفة المتعلّقة بالسلوك والقراءة والتحليل، ومن ثمّ تجاوز كلّ تقارير الوعي العالميّ الذي اعترف بفقدان مثل هذه القدرات؟

إنّ الخطاب التأويليّ قادر اليوم على توجيهنا إلى طريق الحداثة المعرفيّة والمجتمعيّة من خلال تأصيل الإسلام في التجربة الروحيّة الفرديّة والشخصيّة والاجتماعيّة خارج وداخل تأثير الفلسفة التي إن لم تكن موجودة في النصّ، فهي موجودة في الواقع، وتحت زخم الاجتهاد التأويليّ المفتوح والقراءات الشرعيّة المتعدّدة للنصّ بحكم مشاركة القارئ في إنتاج المعنى بما يتجاوز الطبيعة المطلقة للمصدر الأصلي، ويصف هذا المبدأ أنّ الإطار النظريّ لأخلاقيّات العناية بالنفس في الفقه الإسلاميّ بمعناه الأوسع هو موضوع فلسفي لا يزال في انتظار التأسيس والبحث.

١. عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث: ٩.

خريطة البحث

تنبع أهميّة البحث في مسألة الهرمنيوطيقا وعلاقته بالأخلاق الدينيّة من أهميّة الإشكاليّة التي نشأت على الهامش لتنظيم العلاقة بين الدين والفلسفة والأخلاق، لقد أثير هذا الإشكال ويظل من أكثر الإشكاليّات إثارة للجدل بين المذاهب الأخلاقيّة في الفكر الدينيّ المعاصر، ويعتقد المتابع لتاريخ الفكر الدينيّ أنّ مشكلة توافق النصوص الدينيّة مع الأفكار الفلسفيّة تظهر في تاريخ الفكر الإنسانيّ بشكلٍ عامّ؛ لذا قسّمنا البحث بعد التوطئة والمقدّمة إلى فصول أربعة وخاتمة:

الفصل الأوّل: اشتمل على مباحثٍ ثلاثة بعد التمهيد، ركّزنا فيها على تاريخ الهرمنيوطيقا، ومشكلة السؤال الفلسفيّ في الأخلاق؛ حيث إنّ قراءة التأويل قامت بعملها الأوّل في ترسيخ مفهوم طبيعة الإنسان الأخلاقيّة في سياقٍ جعل الإنسان خليفة الله في الأرض؛ لتتضح وظائفه الأخلاقيّة والمجتمعيّة والسياسيّة، وأهم هذه الوظائف التي يؤدّيها الإنسان هو التنظيم السياسيّ ليكون قائدًا سياسيًّا مسؤولًا عن العدالة.

الفصل الثاني: اشتمل على مبحثين بعد التمهيد، تناولنا مسألة إعلان نظام المعرفة، ونظرة مختصرة إلى تاريخ علم الأخلاق ومراحل تطوره التي توضّح قواعد المنظومة المعرفيّة المحدّدة للفكر الدينيّ، والتي تسمح بدمجها مع الأخلاق، ومن ثمّ تقديم الدليل النظريّ على أنّ الفكر الدينيّ موجود في الفكر الأخلاقيّ الإسلاميّ، بحيث يكون له وظيفة نقد حالة العدميّة التي وصلت إليها العقلانيّة المعاصرة؛ لأنّ تلك الأفكار تنتمي إلى نموذجٍ معرفيّ متميّز يجمع بين الهدف النظريّ والهدف العمليّ، ويوفّر قواعد السلوك نحو العدالة.

الفصل الثالث: جاء في مباحثٍ ثلاثة بعد التمهيد، تمحورت حول التداخل التأويليّ في علم الأخلاق مع مجموعةٍ أساسية من الأدلة والعلوم

الشرعيّة التي تهدف إلى استخلاص النظام المعرفيّ الذي يحدّد محاور الشريعة والذي يثبت نفسه كنظام أخلاقيٍّ، ركزت هذه الأدلة على تعميم مبدأ الأخلاق على جميع المحاور، ومثل هذا التعميم أصبح ممكنًا بفضل العلاقة المتطابقة بين الأخلاق والدين، وهي العلاقة التي تدلّ على المشاركة في تجربةٍ أخلاقيّة تحتوي على عناصر الشريعة.

الفصل الرابع: كان في مباحثٍ أربعة بعد التمهيد تعتبر العمود الفقري للبحث، يهدف هذا الفصل إلى قلب تصوّر الفكر الأخلاقيّ الإسلاميّ من خلال استعادة استحسانه والقضاء على مشكلته الحقيقيّة في سياق قلب منظومة المفاهيم والكشف عن طريق آخر للفكر الأخلاقيّ. نجمع هنا إشكاليّته الأساسيّة حول مقاربة معرفية تسعى للردّ على الأسس المنهجيّة التي تميّز طريقة الاستنباط الأخلاقيّ، والتي تتيح الكشف عن منهجيّة تمتد عليها النظريّة الأخلاقيّة المستمدّة من التصوّرات الأخلاقيّة؛ ولذا هذا الفصل يهتم بفلسفةٍ أخلاقيّة، ويحاول استغلالها لفهم علوم الشريعة باعتبارها شكلًا من أشكال التفسير العقلانيّ للنصّ الذي يطمح إلى فهمه والردّ عليه، وبالتالي فإنّ هذا الارتباط سيكون بمثابة بذرة جديدة لفكرٍ أصيل يشكّل الخط العام للفكر المعاصر عمومًا، وربما يضع حدًّا للتقليد والجمود.

أمّا الخاتمة: فكانت في النتائج العامّة والخاصّة النهائيّة للبحث.